المحاضرة الأولى:

الفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي:

تمهيد:

يعتبر الشيخ العربي التبسي من أعلام الفكر الجزائري ، وهو من المنتمين إلى جمعية العلماء المسلمين دورها في الإصلاح الديني والثقافي في الجزائر ، ولد في **1891** بناحية اسطح جنوب غربي تبسه في كنف أسرة على جانب من المعرفة والثراء وبدأ المرحلة الأولى من التربية والتعليم في مسقط رأسه على يد والده وبعد وفاة والده في 1903 بدأت رحلاته العلمية

- ومن أهم الرحلات العلمية التي قام بها وأثرت في فكره:

1 - الرحلة إلى الخنقة جنوب شرق خنشلة في **1907**

2- الرحلة إلى نفطه بتونس في **1914**

3 - الرحلة إلى جامع الأزهر سنة **1921**

4- الرجوع إلى الجزائر سنة **1927** وتوفي في4 افريل **1957**.

١ مشروعه الإصلاحي:

يرى العربي التبسي أن نهوض الأمة الجزائرية لا يكون إلا من خلال العودة إلى الصفاء الأول للدين الإسلامي في نصوصه المقدسة المبينة في الكتاب والسنة على ضوء فهم الصحابة، من اجل تجاوز الأفكار والأوهام والأكاذيب الخرافات التي لحقت بالدين. ومهمة العلماء الحفاظ على أسس الدين من التحريف والتأويل الذي طال الكتاب والسنة يقول العربي التبسي" ومن الواجبات إبقاء الأسماء الشرعية على مسمياتها ومعانيها الدينية حتى ترتبط الدوال بالمدلولات والأوصاف بالموصوفات وبذلك تبقى الحقائق الدينية محفوظة والأوضاع الشرعية قائمة موجودة ...أما إذا أهمل العلماء وظيفتهم العملية التبليغية وتركوا الذب عن الدين وأهملوا باب حراسته مفتحا يلج كل معتد ويثب عليه المنتهزون فان الدين وعلومه ولغته تصبح ألعوبة بيد عبيد الشهوات ومماليك الأهواء يسيرون به أين سارت شهواتهم ويفسرونه تبعا لمنافعهم" **الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي ص159.**

وإذا تم الأمر على أسس استعادة الفهم الصحيح للمفاهيم والتصورات التي يفكر بها الإنسان الجزائري ، يتم تجاوز المفاهيم التي أعاقت الجزائر والأمة الإسلامية من النهوض، ذلك أن التخلف في البلاد الإسلامية هو عرضي وليس جوهري.

فقوله أن " ترتبط الدوال بالمدلولات والأوصاف بالموصوفات" يعني انه ضد التأويل الفضفاض الذي يمارسه البعض على بعض المفاهيم، فيصبح كل من هب ودب، يؤول ويفسر على هواه ومن منطلق مصلحته ومنفعته، لهذا يحرص العربي التبسي على المرجعية العربية والإسلامية في فهم المصطلحات. يتعلق الأمر بتثبيت المرجعية الإيمانية السنية كمعيار في صحة القول والبرهان.

يرد الشيخ العربي التبسي على ذلك الاتجاه الذي يرى النهضة والتقدم قائم على تقليد الغرب واستلهام مبادئه في التغيير الاجتماعي الحضاري، باعتبار أن الجزائر رقعة او منطقة تنتمي إلى العالم الغربي ، ولا تربطها صلة بالعالمين العربي والإسلامي وهو يؤكد في قوله " والأمة الجزائرية امة شرقية إسلامية تركبت أمشاجها من مبادئ الشرق والإسلام فعليها أن أرادت أن تبقى امة يتصل مستقبلها وحاضرها بماضيها أن تحافظ على مبادئ الإسلام التي هي مبادئ الحياة الصحيحة والعز الباذخ" **الأعمال الكاملة.** وهذا معناه عدم التنازل للذات لصالح الغرب، ذلك ان مقومات الذات هي من المنطق والعقل ما لا تقدر عليه هجمات الغرب ولا يعني هذا أن الشيخ يهاجم كل ما ينتمي إلى الثقافة والحضارة الغربية ، بل في الكثير من كتاباته، يدعوا إلى الأخذ ببعض المظاهر الايجابية فيه بل ويذم الممارسات التي يسلكها الإنسان الجزائري يقول" وأرجو الله أن يحبب إلى الجزائريين المسلمين مضاهاة هذه الجاليات (الأوروبية) ومشاركتها في الأعمال الإنسانية فهي جاليات جديرة بالإكبار والإعجاب لأنها تسير في حياتها على ضوء العلم و الخبرة، وتضع كل شيء موضعه وتسند كل أمر إلى أهله العارفين لإدارته ... على العكس من الخيبة التي أصابت هذه الأمة التي أضاعت نفسها يوم أوكلت أمرها إلى من لا يخاف الله ولا يرعى لأمة حرة وأعطت قيادتها إلى فئة غشاشة لا يهمها من أمر الأمة إلى بمقدار ما تستغل هي منها من المنافع المادية **" الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي.**

يظهر جليا أن العربي التبسي لا يرفض كل الحضارة الغربية بل على المسلمين أن يأخذوا بأسباب التقدم التي سار عليها الغرب فإذا أرادت الأمة الجزائرية التقدم عليها أن تأخذ بأسباب التحضر، من بينها: الجمعيات المدنية والنوادي أي كل ما يمثل جمعيات المجتمع المدني والمدارس الفكرية والثقافية يقول العربي التبسي " فإن الإسلام يرحب بكل ما كان تحت أي اسم وجد ليخدمه وأما الإسلام يتلقى بكلتا

يديه هذه المنشآت المستجدة في هذه الأيام لغرض خدمة الإنسانية وبث المعارف بين الجمهور وتبصير العامة بالمعارف التي تحتاجها في دينها وحياتها ".

وإذا كانت الجمعيات والنوادي التي تمثل المجتمع المدني قد ظهرت في أوروبا تمثل مجتمع علماني، فإنها في نظر العربي تبسي يمكن توظيفها في خدمة الإسلام والمسلمين، هذا الموقف من الشيخ يعتبر موقفا منفتحا مختلفا عن غيره من المواقف التي ترفض كل ما هو غربي ثقافة وحضارة ،يقول في عبارة أخرى معجبا بهذه الجمعيات :" وإن في بعض القوانين الفرنسية لفائدة كبيرة للأمة، تلك القوانين الإنسانية التي شرعتها الأمة الفرنسية لخدمة الإنسانية، أعني قوانين إنشاء الجمعيات الإنسانية وإحداث النوادي التي يمكن بسببها أن تتعاون في تبادل الآراء وتقارض الأفكار وتبادل المعارف في هذه النوادي."

٢ -سنن التحضر والتقدم:

يرى الشيخ العربي التبسي أن التحضر والتقدم له قوانين ثابتة، وأن الغرب قد وصل إلى ما هو علي بأخذه للسنن الكونية الإلهية الثابتة، فليس التقدم أمنية ولا مجرد أحلام بل عمل وفق السببية، نلاحظ أن الشيخ العربي التبسي ينتقد تلك النظرة الخيالية والسحرية التي زرعتها الصوفية في المجتمع الإسلامي ، ذلك لأنها ألغت السببية في عقل المسلم فانتشار الخزعبلات والخرافات والشعوذة والأباطيل التي يروجها الطرقيون محت من العقل الإسلامي التفكير ألسببي الذي هو مناط التكليف والتحضر، وبغير هذا النوع من التفكير ألسببي سيبقى العقل الإسلامي يراوح مكانه . فكثيرا ما انتشرت أخبار عن شيخ طرقي يحضر الطعام أمامه بغير عمل وسبب وكثيرا ما انتشرت أخبار أن هذا الصوفي سافر من بلد إلى بلد في لحظة، وروجت أخبار على أن هذا الشيخ قد تحصل على كنز بغير سببية هذه الأخبار التي اعتبرت ككرامات أحيت العقل الجزائري في انتظارات وهمية، يثبت العربي تبسي في قوله " ومعلوم لنا في أول ما ركز الله في عقولنا إن الله جلت قدرته ربط حلقات هذا العالم ربطا محكما وجعل لكل شيء علة تتقدمه وترتبط به ارتباطا وثيقا...وأراهم أنهم على قدر إحسانهم للتسبب وعملهم بالأسباب وبراعتهم في التذرع والتماس الذرائع المهيأة إلى مسببات يكون فوزهم بالمقاصد سواء في ذلك التسبب الديني في الشرائع أو التسبب الدنيوي في الحياة ومرافقها ".

والتحضر كما قلنا يقوم على الأسباب والمدنية المعاصرة قد أخذت مسلكا جديدا في الأخذ بها، منها: التوحد في شعارات وجمعيات وقوميات حيث انتقل فيها العقل الإنساني من النزعة الفردية المتسلطة إلى العمل الجماعي، فإذا لم تأخذ الأمة الإسلامية بهذه الأسباب ستضل مراوحة لمكانها، بل وستعدم من وجه التاريخ.

يتعلق الأمر بإعادة زرع روح العقلانية والنظام في المجتمع الجزائري يقول شيخ العربي التبسي:" أن عصرنا هذا خابت فيه الفوضى وفاز فيها النظام والنظاميون وصارت الحياة إنما تكتب للمبادئ والأعمال التي حف بها النظام ".

٣ -فصل الدين عن الدولة عند العربي التبسي:

يرى العربي التبسي أنه على الحكومة الفرنسية أن تتجه نحو فصل الدين عن الدولة، وهذه الدعوة إلى الفصل تبدوا بالنسبة إلى الكثير غريبة فكيف لمفكر سلفي أن يقول بالفصل بين الدولة والدين، في حين أنه يتصور في الوقت نفسه أن الدين يشمل جوانب الحياة كلها، القول بالفصل بين الدولة والدين مناقض للدعوة السلفية في المشرق التي ترى بوجوب إدماج الدين في الدولة، ولكن يمكن تفسيره أن دعوة علماء جمعية المسلمين إلى العلمانية خاص بالحالة الجزائرية ذلك أن السلطات الاستعمارية كانت تتدخل في تعيين أئمة المساجد والمدرسين والشيوخ بما يخدم مصلحتها، يقول " وإننا معشر المسلمين نطلب بفصل الدين عن الدولة ونطالب أن يكون هذا الفصل حقيقي مبنيا على الاعتراف للمسلمين الجزائريين بأن النظام الداخلي لإدارة شؤون الإسلام من حقهم الخاص بهم فلهم أن يضعوا أنظمتهم على الوجه الذي يلائم أو يأمر به دينهم ويسهل عليهم شؤونهم ولا حق لغيرهم في إلزامهم بنظام يضعه ويلزمهم به."

٤ -إعداد الوسائل للعناية بالمجتمع: نص للشيخ العربي التبسي

"... وقد وجد فيما جد من دعائم المدنية أن كل مبدأ لا تخدمه الهيئات، ولا تستشعره الجماعات، هو مبدأ صائر إلى حيث صارت الشعوب البائدة، وأن توحيد قوى العاملين باسم واحد، ولغاية واحدة في هذه العصور من الضروريات لنجاح الأفكار، وحياة المشاريع، وأن الفرد، وعمل الفرد، وتفكير الفرد، وجهود الفرد، هذه كلها – آلت في نظر هذا العصر- كبقية من بقايا العصور الماضية التي انتقلت من وظيفة العمل بها، إلى وظيفة الاعتبار بها، وهي داخلة في أخبار الأولين، كآلتهم، وماعونهم، حيث انقطعت صلة الأمم بالاتكال على الفرد وجهوده، وحلت الجماعات محل الأفراد، وأصبح عمل الفرد في شؤون الجماعة في هذا العصر غير مرضي عنه، وبات التعاون في كل شيء رمزا عاما في العالم، وعلى قدر تشبع الأمة بعقلية التعاون في كل شيء، وبالأعمال الاجتماعية تعلو الأمة، ويمتد رواق سعادتها.

ونحن بما أننا أمة إسلامية، والإسلام دين غذائه العلم يجب علينا أن نكون أخضع الناس لما جرت به سنة الله في خلقه ولما علمناه من قدره في هذا الكون، وأن نكون أيضا من أشد الناس عملا بما فهمناه من سنن الله لأننا مع كوننا في إتباعنا سنن الله

نأتي البيوت من أبوابها، ونأخذ الشيء من جهته نكون قد خضعنا لقدر الله الذي ما خلق هذه الأسباب وسببيتها إلا لتطلب المسببات من ناحيتها، ومن طلبها من ناحيتها التي خلقها الله لتطلب منها ممتثلا، منقادا لحكمة الله، فذلك من أعظم الطاعات إذا قارنتها النيات.